

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَغِيثُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسَانَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا ضَلَالَ لَهُ وَمَنْ يَضَلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَحُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَكُمْ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ

وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلَحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

الأحزاب: ١٠٢ - ٧١

أما بعد:

فإن منة الله سبحانه وتعالى على عبده المسلم بتوقيته إلى العمل بالسنّة المطهرة وسلوك جادها المستقيمة مئة كبرى ونعته عظمى تستحقّ أيها الإخوة شكرًا وذكرًا كثيرًا إذا أن التسلّك بالسنّة اليوم عزيز والمتسلّك بالسنّة اليوم غريب أيضًا فالمتسلّك بالسنّة منفلت من مظاهر الفرية التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعها، فأكثر المجتمعات الآن على غير السنّة كما قال الإمام سنيان الثوري رحمه الله تعالى: (استوصوا بأهل السنّة خيرًا فإمّ غريباء) وكما قال أبو بكر بن عياش رحمه الله تعالى: (السنّة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان) ويقول يونس بن عبيد رحمه الله تعالى: (ليس شيء أغرب من السنّة وأغرب منها من يعرفها) فإذا كان أيها الإخوة، إذا كان هذا كلام أولئك الأئمة في زمانهم فما بالنا بزماننا هذا لا شك أن الغربة قد اشتدّت استحكامها وعظم أمرها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فمن كان من أهل السنّة فليحمد الله تعالى على هذا الفضل، وليسأل الله سبحانه وتعالى الثبات عليه.

وأما من كان من غير أهلها فيا لحيتة ما أعظم مصيبتة وما أشد خسارته فليغد إلى ربه جل وعلا وليراجع دينه فإن الإسلام هو السنّة والسنّة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر، ومن فضل الله سبحانه وتعالى علينا أنه جل وعلا لم يُخلِ زمانًا من الأزمان من أهل السنّة هم تقوم حجته على الناس أجمعين فيبلغون شرع الله سبحانه وتعالى كما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدعون إلى لزوم السنّة وترك البدع والأهواء، وقد كنا نعهد أهل السنّة والجماعة فيما نزل إلينا من سيرهم وأخبارهم وأحوالهم أمة واحدة تجتمعهم السنّة وإن نأت ديارهم وتباعدت أقطارهم يحضوا بعضهم على بعض ويحب بعضهم بعضًا وإن لم يره حتى قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: (إذا بلغك عن رجل في المشرق صاحب سنّة وآخر بالمغرب فابحث إليهما بالسلام وادع لهما ما أقل أهل السنّة والجماعة) ويقول أيوب السختياني رحمه الله تعالى أيضًا: (إني أخير بموت الرجل من أهل السنّة وكأني أفقد بعض أعضائي)

أما اليوم فقد كثّر المنتسبون إلى السنّة وكثر اللابسون لباس أهل السنّة، حتى لم يعد تمييز أهل السنّة الحقيقيين من غيرهم بالأمر السهل الهين، وهؤلاء الذين تلبسوا لباس السنّة وتظاهروا بالتسلّك ما لم يفعلوا ذلك إلى لأجل القضاء على وحدة أهل السنّة والجماعة، وتزريق صفوهم وضرب بعضهم ببعض، حتى تعلو راية البدعة وتسود جيوشها، ولكن يمحرون ويمكرون والله خير الماكرين، فأهل السنّة مهما اندس بينهم منس، ومهما تزيا بزيهم ماكر فإن الله سوف يهتك ستره ويفضح أمره، فما أسر عبد سريرة إلا أخرجه الله سبحانه وتعالى على فلتات لسانه وقسمات وجهه، ولخطورة ذلك الأمر الذي أشرت إليه وهو تلبس كثير من الناس بالسنّة في هذه الأزمان وهم ليسوا من أهلها، وشدة تقشي هذا الأمر وخوفي أن يندرس مذهب أهل السنّة والجماعة، على أيدي أناس يتسمون هذا الاسم وليسوا من مسماء على نصيب.

فإننا في هذا المجلس نذكر بعض المسائل وبعض القضايا التي كثر طرحها في هذا الزمن وباسم أهل السنّة والجماعة، وهذا الطرح الغالب الكثير ليس عليه إثارة من علم، وليس هو من مذهب السلف الصالح رحمهم الله تعالى، وإنما هو إفات على منهج السلف الصالح وتلبس وخداع إما لنصرة حزباً من الأحزاب التي انتشرت في هذا الزمن باسم الإسلام أو مجرد هوى أو نحو ذلك من الأمور العظام. أقول لما كان هذا الطرح لمثل هذه المسائل باسم أهل السنّة والجماعة وهو بعيد عن هذا المسمى وجب التنبيه ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلاً، ونحن في هذه العجالة نذكر بعض هذه المسائل ونذلي فيها بدلوها عن الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم الإخلاص، وتحقيق متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتوفيق لمنهج السلف الصالح رضي الله عنهم، فمن هذه المسائل مسألة التصنيف، ومسألة الحكم بغير ما أنزل الله ومسألة هل الكفر إنما يكون بالكذب أو يكون بالكذب وغيره، ومسألة الأحزاب والتحزب.

فنبداً بالمسألة الأولى وهي التصنيف: هل هو حق أم باطل وهل يصح التصنيف بالظن أم لا يصح؟

وجواب هذه المسألة أن يقال إن التصنيف الذي هو نسبة الشخص الذي تلبس ببدة إلى بدعته ونحو ذلك كنبدة الكذاب إلى كذبه وهكذا كل ما يتعلق بمسائل المجرح والتعديل. نقول إن هذا التصنيف حق ودين يدان به، ولهذا أجمع أهل السنّة على صحة نسبة من عرف ببدة إلى بدعته فمن عرف بالقدر قليل هو قدرتي، ومن عرف ببدة الخوارج قليل خارجي، ومن عرف بالإرجاء قليل هو مرجئي، ومن عرف بالرفض قليل رافضي، ومن عرف بالمشعر قليل أشعري، وهكذا معتزلي وسوفي وهلم جرا. وأسل هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن أمته ستنشق على ثلاثة وسبعين فرقة، واحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار فيه دلالة على وجود الفرق ولا يتصور وجود الفرق إلا بوجود من يقوم بمعتقداتها من الناس، وإذا كان الأمر كذلك

فكل من دان بمعتقد أحد هذه الفرق نسب إليه لا محالة. وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً لهذه الفرق وهم القدرية في قوله عليه الصلاة والسلام:

(القدرية بجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم).

والقدرية واحدهم قدرتي، فالنبي صلى الله عليه وسلم نسب أشخاصاً من أمته سيأتون من بعده إلى القدر فستهم بالبدعة التي وقعوا فيها وهي إنكار القدر، مثلاً آخر لتلك الفرق جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم الخوارج واحدهم خارجي، وقد أشار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر وهو عليه الصلاة والسلام لم يسمهم بالخوارج ولكن السحابة ورد عنهم تسميتهم بذلك وتزليل الأحاديث التي جاءت في الخوارج على الخوارج الذين وجدوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم، والأحاديث كثيرة منها ما جاء في المسند والسنن أن النبي صلى الله عليه وسلم:

سيكون في أمتي اختلافًا وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسينون الفعل، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يحقر أحدهم صلاته مع سلامه وسياحه مع سيئامهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه، هم شر الخلق والخليفة، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم قالوا: يا رسول الله ما سيئامهم، قال: (التحليل) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد والدارقطني وغيرهم وهو في السنن أيضًا، وقد أخرج مسلم وغيره عن بسر بن عمرو قال سألت سهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الخوارج، فقال:

سمعت وأشار بيده نحو المشرق قوم يقرأون القرآن بالسنتهم لا يعنوا تراقيهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية والحديث كما أنه في مسلم أيضًا هو في البخاري وفي مسند الإمام أحمد.

وامتدادا لهذا المأثور جاءت أقوال السلف وأفعالهم في هذا الباب واضحة. فهم يشبّون هذه الفرق وينسبوا إلى بدعتها التي خرجت ما عن موجب الكتاب والسنة. ومن عُرِف ما من أحاد الناس نسبوه إليها وكل هذا مقول عنهم ومثبت في دواوين السنة لا يخفى على أهل العلم ولو كتب المرء في ذلك مجلدا كبيرا لما أحاط ببعض ذلك. وكتب السير والتراجم والمؤلفات الموصوفة بالسنة فيها شيء كثير من هذا الباب. وعلى سبيل المثال لا الحصر ما جاء في صحيح مسلم عن يحيى بن يعمر قال: «كان أول من قال في القدر باليسرة معبد الجهني وفيه أنه لقي ابن عمر فقال له إنه قد ظهر أناس من قبلنا يقرؤون القرآن ويتعلمون العلم. وذكر من شام وأمم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. فقال ابن عمر: «إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني برئ منهم وأم براء مني».

وأولئك إشارة إلى الأشخاص الذين دانوا بالقدر أي دانوا بإنكار القدر فنسبوا إلى القدرية. وقد جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه تأول قول الله سبحانه وتعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَرْفَعُونَ دِينَهُمْ وَكَانُوا شُعَبًا» تأولها في الخوارج. وكذلك جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقد روي في ذلك أحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان لا يثبت منها شيء. وقد جاء أيضا عن أبي أمامة رضي الله عنه في تأويل قول الله سبحانه وتعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» أما في الخوارج.

وفوق هذا أن السلف رضي الله عنهم ينسبون من تلبس هذه البدعة ونحوها إليها، فنافع ابن الأزرق أحد رؤوس الخوارج كما هو معلوم وقد نسب السلف إلى هذه البدعة بل قد كان اسمه في زمن من الأزمان عندهم علم أو علما على الخوارج. فقد كانت طائفة من الخوارج تدعى بالأزارقة. وقد ثبت في مسند الإمام أحمد أن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: لعن الله الأزارقة. لعن الله الأزارقة حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمم كلاب النار. فقال الراوي عنه قلت له: الأزارقة وحدهم أم الخوارج

كلها. قال: بلى الخوارج كلها.

والأزارقة قد قتلوا في زمن عبد الله بن الزبير رضي الله تبارك وتعالى عنه. ورؤوس الخوارج وأمرؤهم الذين قاتلهم علي بن أبي طالب معروفون عند السلف ينسبون بأعيانهم إلى هذه البدعة. كعبد الله بن وهب، وحر قوس بن زهير، وشريح بن أبي أوفى. وعبد الله بن سخرية السلمي وغيرهم ومثل هؤلاء أيضا السلسلة المشيئة الجهم بن سفوان عن الجعد بن درهم عن أبان بن سمعان عن طالوت ابن الأعسم اليهودي فقد عرف أهل السنة خُبَّ هذه السلسلة وحذروا منها ونسبوا كل من عرف هذه الملة إلى مشيعها ومثليها الجهم بن سفوان فقالوا جهمي وهكذا الحال في معبد الجهني وغيلان الدمشقي القائلين بالقدر وفي واصل بن عطاء وعمر بن عبيد أهل الاعتزال فكل هؤلاء وغيرهم كثير صنّهم السلف رضي الله عنهم وذكروا أسمانهم منسوبة إلى بدعهم دون تكثير بينهم.

وأنت إذا أخذت جانبا آخر من هذا الباب وجدت كتب الجرح والتعديل مليئة بنسبة من دون أولئك إليهم ما داموا مشتركين معهم في تحملهم ووجهتهم وبصرف النظر عن ثبوت ذلك في حق من نسب إليه هذا الأمر أو عدم ثبوت ذلك المقصد أن أهل السنة فعلوا ذلك فإن ثبت فقد حصل المقصود وإن لم يثبت برّه من نسب إليه ذلك.

أقول هذا لأن بعض من نسبوا إلى ذلك الأمر قد لا يثبت عنهم نسبهم إلى تلك البدع وهذا كما قيل في الجوز جاني إبراهيم بن يعقوب فقد قال عنه ابن حبان كان حريزي المذهب يعني أنه يرى رأي حريز بن عثمان الذي رمي بالنسب وقال ابن عيينة رحمه الله تعالى في إسماعيل بن سميع كان بهيسيا. وقال فيه ابن القطان كان سفريا وبهيتيا نسبة إلى أحد رؤوس الخوارج ينسب إليه طائفة منهم والبهيتية طائفة من السفرية اتباع زياد بن الأسفر من الخوارج وهكذا يقول أحمد رحمه الله تعالى في سيف بن سليمان قدرى وهلم جرا تجد من هذا الكلام شيئا كثيرا في كتب السلف رحمهم الله تعالى.

فثبت بجميع ما ذكر أن التصنيف حق أجمعت عليه الأمة فلا ينكره عاقل وكما أن أهل البدع ينسبون إلى بدعهم ليعرفوا فيحذروا فهكذا أهل الحق ينسبون إليه لا إلى غيره فليس لهم ألقاب تنم عن الخروج عن مقتضى الكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة. وهذا معنى قول الإمام مالك رحمه الله تعالى: «أهل السنة ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي ولا قدرى ولا رافضي» ذكره عنه ابن عبد البر في الانتقاء وسئل رحمه الله تعالى عن السنة فقال: «هي ما لا اسم له غير السنة» وتلا قول الله سبحانه وتعالى: «وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ».

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عندما ساق هذه الجملة عن الإمام مالك في كتابه مدارج السالكين «يعني أن أهل السنة ليس لهم أسماء ينسبون إليه سواها». ويقول الثقة الثبت مالك بن مغول رحمه الله تعالى: «إذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسنة فالحقّه بأي دين شئت». ويقول أيضا ميمون بن مهران رحمه الله تعالى: «إياكم وكل اسم يُسمى بغير الإسلام».

ذكر هذين الأثرين ابن بطه رحمه الله تعالى في الإبانة الصغرى.... فظهر هذا الموجز واستبان مشروعية نسبة الناس إلى عقائدهم. فمن كان من أهل السنة فهو سني ومن كان من أهل البدع والأهواء فهو منهم. أشعريا كان أو معتزليا أو مرجنيا أو خارجيا أو رافضيا وهكذا.

أما النظري فأهل الاختصاص. أهل الجرح والتعديل قد اعتنوا به وأوسعوه بحثا فينبينا حكمه في الشرع وذكروا قواعده. فتصنيف الناس ونسبتهم إلى عقائدهم وتحليمهم وسفاهم من حيث الحكم ومن حيث القواعد. ليس علما مخترا وليس علما جديدا بل هو علم الجرح والتعديل الذي لا يقطع من هذه الأمة ما بقي الليل والنهار فمن رام أن يطفى نور هذا الفن، لحاضر حزبه أو خوفا على محبوبيه المجرّوحين فقد ضل وأضل وشقي وأشقى!!!!

(مقتطف من محاضرة لفصلية الشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم بعنوان: «الرد العلمي على منكري التصنيف»)

الرد العلمي

على

منكري التصنيف

فصلية الشيخ

عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

رحمته الله

